الإهــداء

إلى روح الشهيد الشيخ عز الدين القسام. الذي أشعل الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936 ، دفاعاً عن عروبة فلسطين ضد الاحتلال البريطاني والعدوان الصهيوني على سكانها ، واستمرّ يقاتل حتى سقط شهيداً في معركة جبل يعبُد.

إلى روح القائد فوزي القاوقجي، الذي سجل أروع صفحات البطولة في قيادته للمقاتلين العرب في معارك الدفاع عن عروبة فلسطين.

إلى روح الشهيد المجاهد عبد القادر الحسيني الذي سقط شهيداً في معركة القسطل دفاعاً عن القدس.

إلى أطفال فلسطين الذين صمدوا رجالاً ، في وجه الطغيان الصهيوني، في حين ذلّ الرجال واختاروا عار الأبد.

obeikandl.com

تقديم:

بدأت مسألة اليهود وأرض كنعان، منذ مطلع القرن الثالث عشر قبل الميلاد، بظهور موسى وقومه ، الذين أطلقت التوراة عليهم اسم بني إسرائيل، **على مسرح الأحداث في غرب شبه جزيرة العرب.**

وما زالت هذه المسألة قائمة حتى الآن (مطلع القرن الحادي والعشرين)، بعد ميلاد السيد المسيح عليه السلام. وعلى الرغم من تلاشي هذه المسألة خلال قرون طويلة، إلا أنها عادت إلى الظهور من جديد مع تطور حركة الاستعمار في العالم، منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي، وأخذت تبرز شيئاً فشيئاً وبقوة أكثر من أي وقت مضى، مع ظهور ما يسمى بالحركة الصهيونية غير اليهودية في أوروبا وأميركا. حتى انتهى الأمر بانتصار الدول الاستعمارية في تحقيق المشروع الصهيوني وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين عام 1948، كقاعدة

استعمارية لحماية مصالح الدول الاستعمارية على رأسها الولايات المتحدة الأميركية، في المنطقة العربية.

وما قيام دولة إسرائيل في فلسطين إلا تنفيذاً لأسطورة (أرض الميعاد) التي بدأت مع موسى، أو كما ابتدعها كهنة التوراة في الأسر البابلي، وإلا تنفيذاً للمخطط الاستعماري الهادف إلى السيطرة على المنطقة العربية.

ولذا يقتضي البحث، العودة إلى الجذور التاريخية لهذه المسألة، وتتبع تطورها منذ زمن موسى وحتى قيام دولة إسرائيل. فكان لا بد أولاً من العودة إلى التوراة كمصدر فيه من التفصيل، بالإضافة إلى ما تحتويه التوراة من الأساطير والقصص المأخوذه من أساطير وقصص السومريين والبابليين والكنعانيين العرب. ولكن كهنة التوراة عمدوا إلى تزييف الحقائق التاريخية، وتحريف أسماء المواقع والحوادث.

ومن هنا كان لا بدّ من البحث عن مصادر حقيقية تستند إلى الاكتشافات الآثارية.

وبالعودة إلى البداية التاريخية لهذه المسألة، فلا بدّ من تتبع الحوادث على النحو التالي:

1- موسى وقومه وكل ما يتعلق بشخصه ونشأته ومن ثم خروج جماعته من مصر إلى أرض كنعان، مع مناقشة كل ذلك على ضوء المعلومات الصحيحة.

2- قوم موسى بعد موته (مقتولاً) كما تقول التوراة تنفيذاً لأمر الرب ولعل ذلك كان تنفيذاً لأمر الكهنة. ثم تولي يشوع بن نون قيادة الجماعة وما يتبع ذلك من أحداث حتى عهد القضاة.

3- عصر الملوك الأول (شاول وداود وسليمان) وما في التوراة من مبالغات حول هذه المرحلة. مع مناقشة كل ذلك.

4- عصر الملوك الثاني - فترة المنازعات والانقسام ثم السبي الأول ثم السبي الثاني الذي قام به الملك نبو خذ نصّر حيث سبى اليهود إلى بابل (568 ق.م).

5- اليهود في زمن الاحتلال الفارسي - العودة من السبي (عاد بعض اليهود إلى مواقعهم في غرب شبه جزيرة العرب - ثم انساح بعضهم إلى جنوب سورية).

6- اليهود في زمن الحكم اليوناني في سورية وتمركز عدد من اليهود في أورشليم الجديدة.

7- اليهود في زمن الحكم الروماني.

8- الديانة اليهودية - نشوءها - مصادرها.

9- انتشار الديانة اليهودية في بلاد الخزر ومنها إلى أوروبا.

obeikandl.com

10- يهود العالم في الوقت الحاضر وصلتهم بقوم موسى أو بفلسطين.

11- الحركة الصهيونية غير اليهودية والحركة الصهيونية اليهودية

وعوامل ظهورها ونشاطها بالتعاون مع الدول الاستعمارية في قيام دولة إسرائيل في فلسطين عام 1948.

قاد البحث إذن إلى التعرف على الموقف العربي تجاه هذا الخطر الداهم

- موقف عرب فلسطين - موقف جيش الإنقاذ - موقف الحكومات العربية وجامعة الدول العربية.

والحرب العربية (اليهودية الأولى 15 أيار 1948. والنهاية المحزنة...

نحن الآن في العام /2012/. ويكون قد مضى على هزيمة الجيوش العربية في حرب عام 1948، أربع و ستون عاماً. حيث أصيبت الأمة العربية بأكبر كارثة عرفتها في تاريخها الحديث.

مرّت كل هذه السنوات والمواطن العربي، على امتداد الأرض العربية يسأل؛ كيف؟ ولماذا؟.

كيف ضاعت فلسطين ؟!

ولماذا هُزم العرب في الحرب ؟!.

فمن المسؤول عن وقوع الكارثة وكيف ضاعت فلسطين؟.

كل هذه الأسئلة تتردد على لسان كل عربي منذ عام 1948 وما زالت تتردد حتى الآن. ويحاول المواطن أن يهتدي إلى الجواب، فلا جواب !.....

هل الشعب هو المسؤول عن الهزيمة، فلم يبادر إلى حمل السلاح؟

أو أن الحكومات العربية، وجامعة الدول العربية هي المسؤولة فلم تبادر إلى الإعداد للمعركة الإعداد اللازم؟!.

لقد كان الشعب هو السبّاق إلى حمل السلاح في كل قطر عربي، حينما لم تكن حكومات عربية تتصدى للأمر. لقد هبّ المواطنون إلى الكفاح لصد اعتداء الدول الاستعمارية في أعقاب الحرب العالمية الأولى. في حين تخلت حكومة فيصل الأول عن مسؤولياتها في الدفاع عن دمشق، فدخلها الجيش الفرنسي عام 1920.

وهذه ثورة الشعب العربي في العراق تتصدى للاحتلال البريطاني 1920. وفي سورية هذه هي الثورة السورية الكبرى عام 1925 ضد الاحتلال الفرنسي. وهذا هو الشعب العربي الفلسطيني يتصدى للجيش البريطاني في عدة انتفاضات أهمها ثورة عام 1936.

هل بعد كل ما قدمه الشعب من تضحيات في سبيل الدفاع عن الأرض والكرامة، يحتاج إلى براهين جديدة لإثبات حبه لوطنه وشجاعته للدفاع عنه؟!.

_ كان الشعب دائماً بحاجة إلى قيادة وطنية مخلصة، تقود كفاحه في مواجهة العدو حتى النصر. ولكن الأمر كان مختلفاً، فالشعب هو الذي يكافح ويقدم التضحيات، ويقوم بالواجب الوطني. والقيادة المتمثلة بالحكومات هي سبب التخاذل والهزيمة.

لم يقم بعد القائد الكفؤ الذي يصلح للحكم والقيادة والسهر على مصالح الشعب. إن ضعف العرب وجهلهم وفقرهم وذلّهم هي أمور في أعناق الحكام والزعماء العرب. لأن أعداء الأمة العربية هم بالدرجة الأولى، في داخل حدود بلادهم، وفي نفوس أكثر زعمائهم. وما دام الشعب غير قادر على الانفلات من براثن هؤلاء فلا حياة ولا كرامة ولا كيان له.

ألم يكن أولئك الحكام والزعماء من منشيء الأحزاب التي تطالب بالاستقلال للبلاد العربية والعمل على وحدتها؟!. ألم يقسموا الإيمان المغلظة على الموت دون الاستقلال والوحدة؟!.

فما بالهم الآن تفعل في نفوسهم فتن الدسّ، وحب الجلوس على كراسي الحكم، وجمع الأموال الطائلة تاركين الشعب في حالة من الفقر والجهل والمرض بما لا يحيطه وصف؟

فما أن تربعوا على كراسي الحكم وشعروا بثباتها تحتهم حتى أصبحوا ((مستثمري الأمة، وثعالب الاستقلال والوحدة، وسماسرة التجزئة والتفرقة،

وأبواق الذل والمهانة. فلن يذهب عن أي شعب عربي سوء ما فيه، ما لم يحطم تلك الدمى والمأخوذين بتلك الدمى)).

بدأت القضية الفلسطينية تظهر منذ عام 1946 مع تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين. فلم تفعل الحكومات العربية وجامعة الدول العربية، ما يمكنها من مواجهة هذا الخطر الداهم ليس على فلسطين فحسب بل على الأمة العربية بكاملها. سوى المؤتمرات المتلاحقة والوعود الكاذبة والخطب الرنانة. فهي مثلاً لم تعمل على إعداد الجيوش العربية الإعداد الكافي، ولم تبادر إلى تزويد الجيوش بالسلاح والعتاد اللازم لخوض المعركة وإحراز النصر. بل بقيت تلك الجيوش على ما كانت عليه قبل الاستقلال، تعاني الضعف وعدم القدرة على خوض حرب فعلية، لدرجة أن ذلك كان سبباً من أسباب فشل العرب في معركة فلسطين1948.

وإذا علمنا أن جامعة الدول العربية كانت قد اتخذت قراراً عام 1947، تعهدت بموجبه بالدفاع عن فلسطين وإنقاذها باعتبارها جزءٌ من الوطن العربي الكبير. لكنها على العكس تماماً لقد خذلت العرب الفلسطينيين، حينما حالت بينهم وبين الاشتراك في معركة التحرير، حيث حجبت عنهم السلاح والعتاد اللازم للدفاع عن أرضهم.

ومما يؤسف أن كثيراً ما يتردد في المجالس الخاصة أو على صفحات الصحف القول: بأن عرب فلسطين قد قصّروا في الدفاع عن أرضهم، فلم يقاتلوا بما فيه الكفاية لإنقاذ وطنهم. وأنهم باعوا أراضيهم لليهود. فكيف يمكن أن يقال مثل ذلك بحق عرب فلسطين الذين نُكبوا بأنفسهم وعائلاتهم وبلادهم؟.

ومما يؤلم حقاً ويحزّ في النفس أن ينطلق مثل هذا الافتراء على لسان بعض العرب.

قلنا أن سبب الهزيمة في حرب عام 1948، وجود قيادة متمثلة بحكومات ضعيفة رجعية، متخاذلة، وخاضعة لنفوذ الدول الاستعمارية مباشرة أو بصورة غير مباشرة.

فماذا فعلت الحكومات التقدمية التي وصلت إلى السلطة في بعض الأقطار العربية، بعد الهزيمة وقد رفعت شعار تحرير فلسطين؟.

_ في حرب عام 1967 استطاع اليهود (بدعم من أميركا والدول الاستعمارية طبعاً) إلحاق الهزيمة بالجيش المصري والوصول إلى ضفاف قناة السويس في ستة أيام، وأن يحتلوا قطاع غزة.

وإلحاق الهزيمة بالجيش السوري واحتلال الجولان، وكسب معركة المياه بالسيطرة على منابع نهر الأردن وبقي للعرب في سورية (أغنية: ما بيتحوّل) ثم إلحاق الهزيمة بالجيش الأردني واحتلال الضفة الغربية والقدس.

_ وفي حرب عام 1973 _ وإن حقق العرب بعض النجاح في بداية الحرب، حيث استطاع الجيش المصري اجتياز قناة السويس واحتلال مواقع اليهود الحصينة في خط (بارليف) على الضفة الشرقية من القناة. ولكنه أُمِرَ بالتوقف وعدم التقدم.

واستطاع الجيش السوري أن يقوم بخرق جبهة الجيش الإسرائيلي في القطاع الأوسط من الجبهة واحتلال مرصد جبل الشيخ الذي أقامته إسرائيل بعد حرب 1967.

ولكن ماذا حصل؟. وكما قال أحد الكتّاب ((الحرب التي كادت أن تكون)) وهو يعني كادت أن تكون نهاية إسرائيل.

فالعرب لم يستثمروا هذا النصر الأولي في تطوير الهجوم لتحرير الأراضي المحتلة، فانقلب الأمر ضد العرب وانتهى الأمر إلى وقف القتال. ثم إخراج مصر من المعركة، عندما جلس الرئيس المصري أنور السادات على طاولة المفاوضات مع مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل. وعندما وقع معه معاهدة السلام والاعتراف بإسرائيل.

وهكذا ضاعت فلسطين وضاع معها أجزاء أخرى من الأرض العربية وضاعت معها كرامة الأمة العربية ((لقد اختار الحكام العرب عار الأبد)).

وبعد ؛ فماذا يُعد العرب الآن لمجابهة احتمالات المستقبل، وإسرائيل تتطلع إلى دولة يهودية من الفرات إلى النيل؟.

إنهم لم يفعلوا شيئاً سوى المؤتمرات السياسية الكاذبة والشعارات الفارغة.

وهكذا تنتهي مأساة فلسطين ونكبة الأمة العربية، تلك المأساة التي مثلتها الحكومات العربية، إذ دخلت إليها متخاذلة مستهترة وخرجت منها منهزمة مذعورة.

وسيبقى السؤال؛ كيف؟ ولماذا؟ يتردد على لسان كل مواطن عربي إلى أن يستطيع العرب يوماً، تحقيق النصر واستعادة الحق المغتصب.

تركي الزغبي

مراكاييو _ فنزويلا

قدم للنشر في عام 2012

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

كتب كثيرون وبحث عديدون في تاريخ فلسطين القديم، وتاريخ اليهود وعلاقتهم بأرض كنعان. لكن أولئك الكتّاب، بل الأغلبية منهم اعتمدوا في كتاباتهم وبحوثهم، على التفسيرات الواردة في جغرافية التوراة، التي بدّلت أسماء المواقع الحقيقية وجعلتها في الأرض التي أطلق عليها المؤرخون اسم ((فلسطين)) والتي قالت التوراة عنها أنها أرض ((كنعان)). معتمدين على ما دوّنه كتبة التوراة وبخاصة بعد أن وضعت الترجمة اليونانية المعروفة باسم ((السبعونية)).

وقد دأب أولئك المؤرخون على إقناع العالم كله بأن الأرض التي جاء موسى بقومه إليها هي ((فلسطين)) الحالية. وقالوا أيضاً تسمية ((فلسطين)) جاءت من اسم شعوب البحر، قدموا من جزر بحر إيجه، وأُطلق عليهم اسم ((فلستينيون)).

وإذا استعرضنا بعضاً مما أورده أولئك المؤرخون، نجد المؤرخ ((جيمس هنري براستد)) في كتابه تاريخ العصور القديمة يقول: ((وكانت فلسطين الجنوبية البلد الوحيد الذي كان عدد من المهاجرين الإيجيين فيه كافياً لاحتلاله وتأليف أمة منهم)).

وفي هذا الموضوع يقول المؤرخ فيليب حتّي في كتابه ((تاريخ سوريا)) الجزء الأول ما يلي ((الفلسطينيون من مجموعات البحر الذين أتوا من منطقة بحر إيجه ... ثم سيطروا على البلاد الساحلية)).

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الباحثين الذين اعتمدوا جغرافية التوراة كمصدر أساسي لما كتبوه، هم من رجال الدين اليهودي المتعصبين للتوراة. أو من الكتاب الغربيين الذين اعتبروا التوراة كتاباً مقدساً لا يطوله الشك، فكانوا بذلك دعاةً لليهودية أكثر منهم روّاد علم وحقائق.

ثم هنالك فريق ثالث من الباحثين الذين وضعوا أعمالهم في خدمة دولهم الاستعمارية، لذلك جاء ما كتبوه تأييداً لليهود في مزاعمهم الكاذبة والقائمة على اعتبار فلسطين ((أرض الميعاد)) لأن في ذلك خدمة لأهداف الدول الاستعمارية.

وهكذا بقيت التوراة المصدر الأساسي للباحثين والمؤرخين في تاريخ فلسطين القديم وعلاقة اليهود بها، عدة قرون، حتى ظهر علم الآثار الذي كشف ما تركه القدماء من كتابات ومخلفات آثارية قبل عهد التوراة بآلاف السنين.

فأوضح كثيراً من الأمور الغامضة، وبيّن عمليات التزييف والتزوير التي وردت في التوراة. وقد زوّد علم الآثار الباحثين بالبراهين والحقائق التي كانت

ضرورة لازمة لتقرير الصحيح فيما كُتب عن العصور القديمة، وبخاصة ما يتعلق منها بتاريخ فلسطين وعلاقة اليهود بها.

وأرى من المفيد، بل من الضروري أن أعرض هنا للدراسة الجادّة التي قدمها الدكتور ((أحمد داوود)) في كتابه ((تاريخ سوريا القديم، تصحيح وتحرير))، ليس حول تاريخ فلسطين وأرض كنعان فحسب، بل شملت كل الملابسات ومحاولات الخلط والتزييف التي حاول مؤرخوا التوراة، ومن بعدهم مؤرخو المراحل المتعاقبة، طمس حقيقة التاريخ العربي القديم عمداً.

يقول الدكتور أحمد داوود في كتابه المذكور صـ 471 ما يلي ((ما أن أفكر بالبدء في ولوج بوابة كنعان حتى تتملكني الرهبة .... لقد اختلطت خلف هذه البوابة كل الأمور والتصقت وتشابكت كل الحقائق التاريخية، والجغرافية، على السواء، وصار التاريخ من خلفها كائناً مشوهاً. لقد تراكمت كل المخلوقات العجيبة والتصقت بجسد التاريخ العربي، وأصبح هو الضحية، دون أن يتمكن من الفكاك منها)).

فعلى ضوء المكتشفات الآثارية، قد آن الأوان للباحثين وبخاصة العرب منهم أن يتحرروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث تاريخ فلسطين القديم. بل عليهم التوغل في أحدث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات القرون.

ولذلك يقول الأستاذ ((صموئيل هوك)) في مقدمة كتابه ((أصول الديانات السامية القديمة)) ما نصه: ((إننا الآن في وضع أكثر ملاءمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الأساسية للديانة اليهودية، بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة بوجهة نظر تاريخية جديدة)).

ومن الخبراء الذين أدركوا التزييف المتعمد في قضية فلسطين، الخبير القانوني ((هنري كتن)) الذي أوضح تأثير الدعاية الصهيونية العالمية في الأوساط الدولية فقال: ((فحقيقة مشكلة فلسطين قد طُمرت تحت أطباق من التضليل المتعمد والوقائع الشائهة والدعاية المخادعة التي تراكمت على توالي الحقب. والمراقبون العدول، ومنهم كنديون وسويديون وأميركيون، قد لاحظوا أن الوقائع تشوّه، كما لاحظوا صعوبة عرض وجهة النظر العربية أمام الرأي العام العالمي.)).

وقبل هؤلاء جميعاً لاحظ القديس ((أوغسطين)) عاش (354_430م) تزييف النصوص من قبل كتبة التوراة فقال مخاطباً ((طريفون اليهودي)): ((أنتم أيها اليهود حرفتم كتباً كثيرة من العهد القديم لتظهروا مخالفتها للعهد الجديد)).

ومما يؤسف له أن تكون المكتبة العربية مفتقرة إلى دراسات علمية حريصة على إظهار الحقائق التاريخية، فمن الواجب سد الفراغ بالدراسات العلمية لتعريف القارئ العربي والأجنبي بحقيقة تاريخ فلسطين القديم قبل ظهور موسى وجماعته

على مسرح الأحداث. وخاصة أن علم الآثار الحديث قد مكن الباحثين من الوصول إلى كثير من الحقائق التاريخية منها :

أ- تحقيق أكثر مواقع المدن والأماكن التي ورد ذكرها في مدونات التوراة.

ب - تعيين تواريخ الحوادث بصورة صحيحة، حسب تسلسلها الزمني، وعلاقة الأقوام ببعضها، وتعيين أدوارها وتطور لغاتها وثقافاتها.

جـ - تتبع تنقل وجولان القبائل العربية في طول الأرض العربية وعرضها.

د - توصل العلماء إلى معرفة، أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصول عربية قديمة، موجودة في المدونات السومرية والأكادية والكنعانية والبابلية والآشورية والمصرية. مما يُثبت أنه ليس لليهود أدب مبتكر أو ثقافة خاصة بهم.

هـ - عرف الباحثون أن مواد عديدة كُتبت في التوراة، مأخوذة من شريعة حمورابي والشرائع القديمة في المنطقة العربية. اقتبسها اليهود وأدخلوها في كتبهم المقدسة.

و - إن كل ما يملكه اليهود من مقومات ثقافية، ومن ضمنها كتابهم المقدس مقتبس من حضارة العرب القدماء، وأن الأسماء التاريخية الواردة في

التوراة، سواء كانت أسماء أشخاص أو أسماء أماكن قديمة إنما هي من أصل عموري وأرامي عربي ترجع إلى ما قبل ظهور اليهود بزمن بعيد.

إن الباحثين والمؤرخين الغربيين الذين يقولون، أن الوقت قد حان لاعتماد علم الآثار للكشف عن حقيقة التوراة وعلاقة تاريخ اليهود بالمنطقة العربية قديماً وحديثاً، فإن الحق والعدل يوجب عليهم التحرر من اعتماد التوراة في كتاباتهم.

وبالنسبة للعرب فقد آن الأوان أيضاً لكتابة تاريخ الأمة العربية، من جديد في ضوء الاكتشافات الآثارية، والتطور الفكري في العالم وللتأكيد على أهمية ذلك نورد على سبيل المثال ما كتبه المؤرخ البريطاني ((وول ديوارنت)) في كتابه (قصة الحضارة) الجزء الأول - الفصل الأول - صـ 10، يقول: ((وقصارى القول أن "الآريين" لم يشيّدوا صرح الحضارة، بل أخذوها على بابل ومصر، وأن اليونان لم ينشئوا الحضارة انشاءاً، لأن ما ورثوه منها أكثر مما ابتدعوه، وكانوا الوارث المدلل المتلاف لذخيرة الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنين، جاءت إلى موانئهم مع مغانم التجارة والحرب. فإذا درسنا الشرق الأدنى وعظمنا شأنه، فإنا بذلك نعترف بما علينا من دَينٍ لمن شادوا بحق صرح الحضارة الأوروبية والأميركية، وهو دَين كان يجب أن يؤدى من زمن بعيد)).

هل يتعظ المكابرون من أعداء الأمة العربية بقول ديورانت هذا ؟!.